﴿ استهاض همم ﴾

٩

لايحدث محدث عن النزاع بين انكلترا والروسيا في اواسط آسيا الا وتتمثل في مخيلة السامع صورة براز بين انكليزي وروسي على ذروة جبل هندكوش احدهما مهاجم والآخر مدافع يتساوران ويتواثبان ويتطحان انتطاح الكباش ولا يمكننا الجزم والحكم بفلج واحد منهما بعينه واخفاق الاخر لان عند كل واحدة من الامتين الانكليزية والروسية من وسائل النصرة والفلج وذرائع الغلبة والدفاع مايوجد مثله اومايحاكيه عند الامة الاخرى

ربما يحكم حاكم ذهاباً مع الوهم بان النصرة ستكون للروسيه لما ان الحرب تنتشب بين الدولتين برية وقد لا يتخللها عمل بحري قط فقوة انكلترا البحرية التي توازن قوة الروسية البرية لا نجدة ترتجى منها في تلك الحرب واحج بان يصح هذا الوهم (اي ما احجاه واحراه بالصحة) لولم تكن انكلترا قد تداركت امرها واعتدت لدفع ذلك الخطر قوة ادبية منبثة في البلاد الهندية انبثاث الهباء في الهواء تؤيد بها قوتها البرية الثانوية فتقويان معاً على مقاومة القوة الروسية . ذلك ان الشعب الانكليزي قد امتزج بمعظم الشعب الهندي امتزاجا تاماً وقد سعت انكلترا في احكام هذا الامتزاج منذ قوي نفوذها ثمة فمهدت شوابك الالفة والوحدة الادبية بين القبيلين ومهدت للشعب الهندي سبل تعلم اللغة حتى كاد تعلمها ينطوي تحت الفرائض الدينية . واللغة كما لا يغرب عن فهم اللبيب مناط الجنسية او هي الاكسير السياسي تحول اخلاق الشعب وآدابه وعاداته وعواطفه بل وتعاليم دينه الى اخلاق الشعب المتغلب الذي تعلمت لغته والى آدابه وعاداته وعواطفه وتعاليم دينه فضلا عن ان

انكلترا ضمت الي تعليم لغتها تعليم سائر العلوم والفنون العصرية وتخيرت امثل الوسائل وأقوب الطرائق لبلوغ غايتها من قلب الشعب الهندي الى شعب انكليزى (*) حتي انها طمعت بمالم يطمع به الا ابو مرة من العبث بعقائد المسلمين واستلابة عرائك المستضعفين منهم فبثت بينهم مبادئ التعطيل وتعاليم الالحاد والكفر (النيشرية) واقامت لهادعاة من انفس المسلمين ممن استزلهم الشيطان واستهواهم الغرور وهذا وان لم يظهر له اثر في الآباء يوشك ان يلصق من لوثه بنفوس خلائفهم وانسالهم فليتق مسلموا الهند شر ذلك بنشر التعاليم الدينية وتخريج احداثهم ونشئهم على آدابها وعقائدها حتي ترسخ في نفوسهم ونقيها من ذلك اللوث والطبع بتعليم ابناءنا لغتهم ودينهم نصون امتنا ونحمي استقلالها الجنسي من الزوال الى الابد بذلك نحارب أوربا ونعترض في طريق اطماعها بتلك القوة الادبية تقاوم قوتها وتفل غرب عاديتها. لايتخيلن احد ان الحرب او الثورة ضد الامة المتغلبة هي التي تحرر الشعب الضعيف وتفتكه من عقال سلطتها وتعيد اليه استقلاله . ربما كان الهرج والشغب من انفذ العوامل في تضائل الشعب وتوهين قوته وتمكين يد المتغلب من عنقه. حملوا علينا بسلاح علومهم ولغاتهم وادابهم فلنتحصن منهم بمثل تلك القوى ولنحمل على ايدينا تعاليمنا ولغتنا وآدابنا وننشر ذلك بين ابناء ملتنا . لنأخذ بحجز اطفالنا عن الوقوع في اسر العدو الاسر الاعظم والاندماج في جنسيته والتحول الى طينته . بعيني رأيت شاباً هندياً مسلماً رث الهيئة يلبث الخلقان والاسمال وعلى رأسه كمة بالية دأبه السياحة

(*) المنار — لو كان هذا صحيحاً لنجح الهنديون في دنياهم نجاحا باهراً لكن قصارى مافعل الانكليز انهم لم يجعلوا للهند ملجأ سوى انكلترا

ومواصلة الرحلة ـ وكل هذا منه على سبيل الزهادة ومحاكاة اهل الرياضة ـ درس العلوم في المدارس الانكليزية العالية وهو يتكلم بالانكليزيه كأحسن متكلم من أهلها وقد ترشح في تلك المدارس وتثقف عقله بعلومها وفنونها ووقف على دقائقها ونتائج ابحاثها لاسيما العلوم الفلسفية والطبيعية . حدثني من باحثه انه ادهشه بسعة اطلاعه وغزارة مادته كان لا يسلك معه مجهلة من مجاهل تلك العلوم الا ووجده خرّيتها ولا هوى به من هوة عن الدقائق الفلسفية الا والفاه عفريتها ومما حكي عنه وهو معجب بفرط ذكائه انه يشرح ما حققه الفلاسفة الطبيعيون في ابحاثهم العصرية المتأخرة شرحا يخيل للسامع ان ذلك الشاب هو الذي وضع تلك الابحاث واستنبط نتائجها لكنه واخيبتاه لا يعلم من الاسلامية الا اسمها ولا يحفظ من تعاليمها سوى فاتحة كتابها . رجوت محدثي عنه ان يجمعني به ومذ وقع طرفي عليه تمثلت لمخيلتي الاطوار الشرقية ملتفة بالغواشي الغربية رأيت في يده أنبوبة يدخن بها ويمض عليها مثلما يفعل اصحابه الانكليز فكلمته بالعربية فاذا هو لا يعلم منها سوى بضع كلمات واستنطقته بواسطة اثنين عن بعض شؤون اسلامية فألفيته خالي الذهن من أمر الدين لا يهمه شأنه ولما سألته عن معلوماته الدينية قال انه يحفظ الفاتحة قلت اقرأها فتلكأ أولا ثم مضى في قراءتها على غير سداد فأطرقت حينئذ الى الارض واجما راثيا لحال الامة التي يستولي عليها الاجنبي ثم حوقلت وانصرفت

وبالجملة ان انكلترا طمعت في ركس (قلب) كل شأن من شؤون الهند ومسخه وتغييره سوى تغيير اللون النحاسي الهندي الى اللون الابيض الانكليزي . وما بدونا انهم لا يطمعون بذلك أيضاً . علهم يلقون على الشعوب الهندية نظاماً عاماً يقضي عليهم بان لا يتزوج الهندي النحاسي

الا باوروبية بيضاء والاروبي الا بهندية وهكذا دهرا طويلا فيقاومون بذلك طبيعة الاقليم (١) ويستولدون شعباً خلاسياً (٢) أبيض اللون مكونا من الشعبين اللهم غفرا

ولم تأل الحكومة الانكليزية جهداً بمد رواق العدالة والحرية والامن فوق الشعوب الهندية وقد تحببت اليهم بما يملكها أزمة أميالهم وعواطفهم وأمتن آخية وثقت بها سلطتها في الهند وأشدها احكاما مافعلته من مزج مالية الشعب الهندي بمالية الشعب الانكليزي وأودعت تلك الاموال في المصارف الانكليزية في جزائر بريطانيا ووحدت بذلك مصالح الشعبين العامة بحيث تكونت مشروعاتهم الكبري وشركاتهم التجارية برجال القبيلين وأموالهما ثم أخذت تشرف من وراء ذلك على مجاري تلك الاعمال وجداول هاتيك الاموال وتجتني لنفسها من كل ذلك ثمرات سياسية وأدبية قلما يوفق لاجتنائها احد غير الانكليز . وقد مضى على انكلترا في شد تلك العرى والاواخي وتوثيقها سنون واعوام وهي لاتزال تواصل العمل في امثال ذلك ماواتاها الدهر وهو موات . فهل بعد ذلك يجزم جازم بان الروسيا تطرد انكلترا من الهند وتقلص ظلال سلطتها عنها ؟ والسداد في الرأي التوقف كما توقفنا وترك امر الغيب الى من تفرد بعلمه سبحانه وتعالى . وكيفما كان الامر فالاحجى بالحكومتين الافغانية والفارسية ان تكونا على حذر ويقظة من شر الدولتين اللتين تتربصان بهما الدوائر وتتنهزا فرصة الشقاق بين تينك الدولتين فتبادرا لرتق الفتق قبل اتساعه ومواساة العلة قبل استحكامها وتسارعا

(١) المنار — لو حصل هذا لكانت الغلبة لطبيعة الاقليم ولتحول الاوربيون الى اللون النحاسي دون العكس ولكن من أين للاوربيين بمئات الملايين فيتزاوجون مع الهنديين ؟

(٢) بكسر الخاء الولد بين أبوين أبيض وأسود والديك بين دجاجتين هندية وفارسية

لعقد حلاف بينهما وشد عروة وفاق تصونان به امتهما ودينهما من الضياع وتمدا أيديهما الى الحكومة العثمانية فهي ان شاء الله تعالى تلبيهما كما تلبي الجميع الحكومة المراكشية فتم للاسلام وحدة مقدسة يصان بها شرفه وتحمى حقيقته

(ازالة شبهة)

تعرف أغراض الجرائد ومقاصدها من مجموع كلامها في الاعداد الكثيرة ولا يصح الحكم على مقصد جريدة بجملة واحدة يظهر انها ترمي الى غرض ما لاسيما اذا عهد منها في الكلام الكثير تسديد سهامها الى خلاف ذلك الغرض أو الى ماوراءه وانما أصابه السهم لانه عرض في طريقه . ويعلم جميع قراء المنار اننا في مجموع كلامنة لم نخطئ الغرض الذي وضعناه له في العدد الاول وهو قولنا « وغرضها الاول الحث على تربية البنات والبنين لا التحامل على الامراء والسلاطين والترغيب في تحصيل العلوم والفنون لا الاعتراض على القضاة والقانون واصلاح كتب العلم وطريقة التعليم والتنشيط على مجاراة الامم المتمدنة في الاعمال النافعة وطروق أبواب الكسب والاقتصاد وشرح الدخائل التي مازجت عقائد الامة ... الى ان قلنا » وتنبيه العثمانيين على ان الشركات المالية هي مصدر العمران وينبوع العرفان وان عليها مدار تقدم أوربا في الفنون والصنائع لاعلى الملوك والامراء » الخ الخ وقد بينا في أعداد كثيرة من السنة الاولى والثانية بأن الامم الشرقية أو الاسلامية اذا لم تعتمد في تقدمها على أنفسها — لاعلى حكومتها — فانها لاتنهض من هذا الحضيض الى أبد الآبد . ولما كان الاجمال قلما ينبه الغافل والهمس لايكاد يوقظ النائم المستغرق صرخنا بهذه النصيحة بصوت عال غير مرة . وأشد صيحة أزعجت النائمين قولنا في العدد الحادي عشر من هذه السنة « ان امام المصريين وسائر المسلمين سداً منيعاً من الوهم يحول بينهم وبين السير في طريق الترقي فاذا استطاعوا ان يظهروه أو يتقبوه — ولا أقول ان يدكوه — يتسنى لهم الايجاف والايضاع في ذلك المنهاج الواضح والمهيع الواسع وان ذلك السد هو الاعتماد على ذولهم وحكومتهم التي امست اغلالا في أعناقهم وسلاسل في أيديهم وقيودا في أرجلهم وغشاوة على أبصارهم